آليّة التّناص في النّص النّثريّ الجزائريّ، وفق استراتيجيّة محمّد مفتاح.
–نادي القلم ببغداد للبشير الإبراهيميّ أنموذجا–

Intertextuality in The Algerian Prose Corpus according to Mohamed Meftah.
–The Baghdad's Pen Club as a Case Study–

أ. جليخي بلقاسم *
إشراف د. إسماعيل بوزيدي

تاريخ الاستلام: 2020.21.20 تاريخ القبــول: 2021.03.25

ملخّص: تعتبر هذه الدّراسة محاولة لمقاربة نص من نصوص البشير الإبراهيمي في ضوء لسانيات النّص، أردت من خلالها الكشف عن الآليات التي حققت لها النّصيّة، والبحث في السّبل التي أسهمت في تماسكها بالدّرجة الأولى، حيث اهتمّت بمعيار من معايير النّصيّة المسهمة في ترابط النّص وتماسكه وهذا من خلال آليّة التّناص وتفاعلاتها مع النّصوص وما مدى إسهامها في إنتاج نصوص الإمام وتماسكها وهذا ما لوحظ في نص الإمام الموسوم "**نادي القلم ببغداد**" مطبقين استراتيجيّة "محمّد مفتاح" من خلال آليّة التّمطيط وآليّة الإيجاز لتحليل النّص من حيث بنائه تعدّدت آليات التّناص بين التّمطيط والإيجاز في نص الإمام محمّد البشير الإبراهيمي كما أشار إليها محمّد مفتاح، إذ عملت هذه النّظريّة في الكشف عن ذلك التّرابط والتّفاعل والتّداخل بين النّص الماثل ونصوص أخرى متعدّدة.

*المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، البريد الإلكتروني:
djelikhi.belkacem@ensb.dz (المؤلّف المرسل).

كلمات مفتاحيّة: التّناص، النّص، المعايير النّصيّة، استراتيجيّة التّحليل، محمّد مفتاح، البشير الابراهيمي.

Abstract: The study approaches one of Al-Ibrahimi's texts using text analysis. The main concern is to reveal the ways textuality is achieved and coherence is fulfilled. The research paper dealt with one of the criteria that make a text coherent and harmonious, namely intertextuality. Textuality and intertextuality contributed in making Al-Ibrahimi's coherent and robust texts. This is the case, for instance, in his text, "Nadi Al Kalam Fi Baghdad/ Baghdad's Pen Club". Recurring to the strategies adopted by the critic Mohamed Meftah, namely expansion paraphrase and summarizing, we analyzed the text structure. Meftah's theory helped in highlighting the coherence of the text and also its interrelation to other texts.

Keywords: Intertextuality. Text Criteria. Analysis strategies. Mohamed Meftah. Al Bachir Al-Ibrahim

1.المقدّمة: ممّا لاشكّ فيه أنّ مصطلح التّناص من المصطلحات الحديثة التي ركزت عليه الدّراسات الغربيّة وأعطت له اهتماما كبيرا وواسعا وبالأخص الشّعريّة الغربيّة وما بعد البنيويّة لما له من فعاليّة في تحليل النّص ونسجه من جديد وتركيبه إذ أدى إلى حدوث جدل كبير في الدّراسات الأدبيّة النّقديّة واللغويّة في تحديد مفهوم المصطلح ولعلّ من أسباب هذا الجدل هو تشابك المصطلح بعدة دلالات ومفاهيم أخرى كالسّرقة والتّضمين والاقتباس والأدب المقارن وعلى أساس هذا أردنا ضبط مفهوم مصطلح التّناص بدءا بمفهومه وتحديد آلياته التي أشار إليها محمّد مفتاح في كتابه "تحليل

الخطاب الشّعري استراتيجيّة التّناص" مطبقين هذه الآليات على النّص النّثري الجزائري وكان اختيارنا على نص نادي القلم ببغداد للإمام محمّد البشير الإبراهيمي لتطبيق هذه الآليات لأنّ نصوصه تعتبر ثريّة وغنيّة بخاصيّة التّناص وهذا لتأثره الشّديد بالتّراث القديم مما أدّى لظهور تداخل نصوصه وتشابكها مع نصوص سابقة .

يعتبر النّص بناء متكاملاً متصفاً بشكل النّسيج المتناسق المنسجم بحيث لا يخرج إلاّ بعد صقل الكتاب عباراته وتراكيبه صقلا جيدا، أي أنّ عمليّة بناء النّص تقتضي أساليب وأدوات ومراحل حتى يكون النّص بناءً متكاملا، من خلال هذا فالإشكاليّة التي تطرح في هذا الصّدد: ماهي مراحل بناء النّص وإنتاجه؟ وهل تكمن علاقة النّص من حيث البناء بنصوص أخرى؟ أي هل يحتاج النّص إلى نصوص مساعدة لدعمه وبنائه؟

2.خطوات نسج وبناء النّص: إنّ إنتاج النّص يتطلّب مراحل ليخرج لنا في نسيج متكامل وهذا ما أشار إليه اللساني ""دي بوغراند" وهي:

1.2الخطوة الأولى (التّخطيط): (planning): ويركز منتج النّص في مرحلة الخطة على غرض النّص جاعلا ذلك هدفاً شخصياً بالنّسبة للمعلومات أو اجتماعيا كما يركز على المقصود حضوره ليكون من مستقبلي النّص، ثم يجري اختيار نوعه وينشأ التّوافق بين الخطوات المختلفة للخطة وبين المعايير العامة لعمليّة الإنتاج (روبرت دي بوغراند، 2007)[1].

وهي مرحلة تتضمن كل ما يخص الرّغبة والدّافع للكتابة وتفعيل المعاني المنشودة ومعلومات عن الموضوع.

2.2 الخطوة الثّانيّة (التّكوين) (indeation): توجه القدرة الإجرائيّة إلى الكشف عن مراكز الضّبط للمحتوى المعلوماتي فالفكرة المجردة تكوين من التّصورات والعلاقات المنشطة تنشيطا ذاتيا، والتي توجد في أساس السّلوك الخالق للمعنى ومن هذا السّلوك إنتاج النّص (المرجع نفسه)[2]. ويتم فيها تحويل تلك المعاني والرّؤى والأفكار إلى جمل وتراكيب وفقرات ونص، وتسمى بمرحلة النّقل.

3.2 الخطوة الثّالثّة التّطوير: هي عبارة عن نتاج مرحلة الخطة والتّجريد سواء كانت التّعبيرات اللغويّة في الحسبان في هذه المرحلة أم لم تكن، وهذه المرحلة مسؤولة

عن التّنظيم الدّاخلي المفصل للمفاهيم والعلاقات، ومع استمرار مرحلة التّطوير تستمر مراكز الضّبط في الانتقال من التّجريد وتنتشر وتتقاطع (المرجع نفسه)[3].

ومن أهم العناصر المسهمة في بناء النّص هي النّصوص السّابقة التي تعتبر المادة الأساسيّة لإنتاج النّصوص بعد الخطّة التي أشار إليها اللساني ""دي بوغراند"" لأنّ النّص الماثل لم ينشأ من لا شيء، وإنّما تغذّى جنينياً، بدم غيره، ورضع حليب أمهات عديدات، وتداخلت فيه مكونات أدبيّة وثقافيّة متنوعة. وقد كان من شروط تعلم الشّعر عند العرب، أن يُطلب من الشّاعر، في مرحلة التّلقّي، أن يحفظ كثيراً من أشعار غيره. ثم ينساها، في مرحلة العطاء الشّعري، لتدخل محفوظاته هذه في نسيج عطائه ولكن في شكل جديد. وهكذا يغذّي اللاوعي الوعي.(محمّد عزام ،2001) [4] .

3. دلالة مصطلح التّناص (الماهيّة والمفهوم):

1.3 لغة: اذا ما تتبعنا مفهوم التّناص لغة نجد أنّ صاحب اللسان يورده بمعنى الاتصال والالتّقاء حيث يقول: "هذه الفلاة تناص لأرض كذا وتواصيها، أي تتصل بها "(ابن منظور، 1978).[5]

التّناص لغة مصدر للفعل تناصّ (تناصص بفك الإدغام)، وهو على وزن تفاعل الدّال على المشاركة. وعندما نبحث في المعجم عن الكلمة نجد أنّها بمعنى الازدحام فقد جاء في تاج العروس "تَنَاصَّ القَوْمُ: ازْدَحَموا (الزّبيدي، 1994)"[6].

2.3 اصطلاحا: يعدّ مصطلح التّناص من المصطلحات الحديثة التي عرفتها الدّراسات النّقديّة كآليّة لدراسة النّص والغوص والبحث فيه. غير أنّ المترجمين العرب لم يتفقوا على تعريبه إلى مصطلح واحد فمنهم من عرّبه إلى النّصوصيّة وآخرون سموه بالتّداخل النّصي، ومنهم من يستخدم التّفاعل النّصي كما يسمى عند آخرين بالتّناص إذ أنّ التّناص واحد من أنواع التّفاعل النّصي(ابتسام موسى عبد الكريم ،2007)[7]، ولم تستخدم تلك الدّراسات مصطلح التّناص وحده الذي هو ترجمة للمصطلح الانكليزي Intertertuality بل استخدمت مصطلحات مرادفة مثل التّناصيّة والنّصوصيّة (عبد الملك مرتاض،1988)[8] والتّعالق النّصي(علوي الهاشمي،1988)[9] وتداخل النّصوص والحواريّة(عبد الله الغذامي،2006)[10]والنّص الغائب (محمّد بنيس،1985)[11].

وقد أقرّ محمّد بنيس في كتابه" ظاهرة الشّعر المعاصر في المغرب "أنّ محمّد مفتاح اعتبر أنّ التّناص للشاعر أو الكاتب هو "بمثابة الهواء والماء والزّمان والمكان للإنسان فلا حياة له بدونها ولا عيشة له خارجهما"(نفسه)[12].

لهذا حاول محمّد مفتاح تأسيس علاقة بين مبدع النّص والمتلقي إذ يرى: "أنّ أساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النّص من قبل المتلقي أيضا، وبرهنة على صحّة هذه المسلّمة، فقد وجدت دراسات لسانيّة نفسانيّة لصياغة عدّة نظريات تحاول ضبط الآليات التي تتحكم في عمليّة الإنتاج والفهم "(محمّد مفتاح ،1992)[13] ويطرح أنّ اهتمام الدّارسين للتناص في بادئ الأمر اقتصر في حقول الأدب، ثم دخل العرب في إشكاليّة المصطلح نتيجة لاختلاف التّرجمات والمدارس النّقديّة فمحمّد بنيس يطلق عليه النّص الغائب ومحمّد مفتاح يشير إليه بالتّعالق النّصي(نعيم قعر المثرد ،2011)[14].

ويرى محمّد مفتاح أنّ البعض يعتقد بأنّ عمليّة التّناص تتوقف عند حد امتصاص الشّاعر لنصوص أخرى سابقة لمجرد المحاورة والتّجاوز، في رؤيّة سطحيّة تقتصر عليه وحده، ولكن في رأيه يجب أن يعي دون النّصوص ذاتها في عمليّة تخليق وانتاج التّناص للدلالة وهذا هو الطّرف المضيء في هذا السّياق، كما يقول محمّد مفتاح: "إنّ الكاتب أو الشّاعر ليس إلاّ معيدا لإنتاج سابق في حدود الحريّة، سواء كان ذلك الانتاج لنفسه، أم لغيره، ومؤدى هذا أنّه من المبتذل بعد هذا، أن يقال إنّ الشّاعر قد يمتص آثاره السّابقة أو يحاورها أو يتجاوزها، فنصوصه يفسر بعضها بعضا، وتضمن الانسجام فيما بينها، أو تعكس تناقضا لديه، إذا غيّر رأيه، ولذلك فإنّ الدّراسة العلميّة تفترض تدقيقا تاريخيا لمعرفة سابق النّصوص من لاحقها كما يقتضي أن يوازن بينها لرصد صيرورتها، وأن يتجنب الاكتفاء بنص واحد، واعتباره كيانا منغلقا واحدا(محمّد مفتاح،1992)[15].

وقد بيّن محمّد مفتاح أنّ التّناص يحدث على المستوى المضموني لأنّ الشّاعر يعيد انتاج ما تقدمه وما عاصره من نصوص مكتوبة وغير مكتوبة (نعيم قعرالمثرد،2011)[16].

4.منهج محمّد مفتاح في تحليل النّص وفق استراتيجيّة التّناص: ومن بين الحتميات التي واجهت بعض الدّارسين لظاهرة التّناص تحديد منهج تحليل النّصوص فكل واحد منهم أدلى بدلوه في هذا الامر واتخذ منهجا معينا في الكشف عن تداخل النّصوص فيما بينها وذلك لاختلاف وتعدّد البنيات النّصيّة لهذا أقرّ بعضهم أنّ لكل نص منهجيته وآلياته الخاصة تناسب ذلك النّص بعينه وعليه قد حاول "محمّد مفتاح" أن يضع يده على بعض آليات التّناص المهمّة والمساعدة في تبيان ذلك التّداخل بين النّصوص الماثلة والغائبة مراعيا البنيات النّصيّة التي يعتمد عليها مؤلفو النّصوص في نسجها، ومن بين وأهم هذه الآليات التي تظهر وتبين لنا موقف المؤلّف من النّصوص السّابقة عليه والمعاصرة له هي: آليّة التّمطيط، آليّة الإيجاز، آليّة القلب آليّة التّفاعل آليّة التّحرر.

1.4 آليّة التّمطيط وتوسيع النّص (محمّد مفتاح،1992)[17]: التّمطيط في جوهره عمليّة توسيع للنص وتمدد في وحداته البنائيّة اللفظيّة أو التّركيبيّة حيث تقتحم هذه الزّوائد اللغويّة البنى الأصليّة للنص، ونعني به كذلك الإطناب والإسهاب في اللفظ والمعنى ولا نقصد به الإطناب الممل وقد يكون بأشكال مختلفة وأوّل هذه الوسائل التي يعتمدها الكاتب في التّمطيط هي الشّرح.

أ. الشّرح: يقول محمّد مفتاح (مرجع نفسه)[18]"عن هذا المصطلح، بأنّه أساس كل خطاب وخصوصا الشّعر فالشّاعر قد يلجأ إلى وسائل متعدّدة تنتمي كلّها إلى هذا المفهوم وهو أهم وسيلة يعتمد فيها الكاتب على التّمطيط باستعماله البعد التّفسيري للفكرة التي يحاول شرحها لذلك كان الشّرح أساس كل خطاب شعري إذ أنّه قد يكون في القصيدة كلمة محوريّة تدور حولها القصيدة كلّها.

ب. الأنا كرام (الجناس بالقلب أو التّصحيف): " فالقلب مثل قول–لوق وعسل–لسع التّصحيف مثل: نحل–نحل وعثرة–عنترة والزّهرة–السّهر..." (مرجع نفسه) [19].

ج. الباراكرام (الكلمة المحور): "إنّ الباراكرام أليّة تمطيطيّة تقوم على تطوير صغيرة أو حدث صغير عن طريق السّرد والوصف والحوار والحشو والبياض وهذه

الآليّة تسهم في تعضيد النّص دلاليا من جانب ومن جانب آخر تساعد على زيادة فضاء النّص الكتابي على الورقة. (مرجع نفسه) [20].

د. الاستعارة: (مرجع نفسه) [21]سواء مرشحة أم مجردة أم مطلقة لأنّها تبعث الحياة في كل الأشياء خاصة إذا كان الخطاب شعريا حيث تنقل المجرد [الدّهر] إلى المحسوس [الليث] فالاستعارة قد تكون أكثر دقّة في التّعبير من الحقيقة وأشد منها وقعا لما تحتله من حيز مكاني وزماني أكثر من غيرها.

هـ. التّكرار: ويكون على مستوى الأصوات والكلمات والصّيغ متجليا في التّراكم أو في التّباين، وقد يتجاوز التّكرار الصّيغ اللغويّة ليكون تكراراً في المعاني المتمثلة ولكن بصيغ مختلفة وتكاد ظاهرة التّكرار أن تشيع في النّص الشّعري الحديث إذ تساعد على انسجامه إيقاعيا ودلاليا. (نعيم قعرالمثرد،2011). [22]

و. الشّكل الدّرامي: إنّ جوهر القصيدة الصّراعي يولد توترات عديدة ممّا يؤدي إلى نمو القصيدة فضائيا وزمنيا.

ي. أيقونة الكتابة: إنّ هذه الآليات التي ذكرت تؤدي إلى ما يمكن تسميته بأيقونة الكتابة وعلى هذا الأساس فإنّ تقارب الكلمات المتشابهة أو تباعد دلالتّها في الخطاب الشّعري. (محمّد مفتاح،1992). [23]

وهذه الآليات هي أساس هندسة النّص الشّعري مهما كانت طبيعة النّواة، فإذا قصد الاقتداء فإنّه يمططه وإذا أراد السّخريّة قلب مدحه ذما بالكيفيّة نفسه.(نعيم قعرالمثرد،2011). [24]

2.4. الإيجاز (ظاهر محمّد الزّواهرة،2013)[25]: لا يتحدد في النّص مثلما يحصل في آليات التّمطيط، فالإيجاز قد لا يمكن الكشف عنه بوساطة القراءة المباشرة للنص أو رؤيّة الفضاء الكلي له، ولكن قد يحصل هذا الأمر عن طريق التّداعي والتّأويل وأنّ شيئا ما أكبر يقف وراء هذا النّص الغامض مثلا. (ناهم محمّد،2004). [26]

ويشير محمّد مفتاح إلى أنّ عمليّة التّناص لا تقتصر على التّمطيط فيقول: "على أنّنا لا نخطئ إذا نظرنا إلى المسألة من وجه واحد وقصرنا عمليّة التّناص على التّمطيط فقد تكون عمليّة ايجاز أيضا"(محمّد مفتاح،1992)[27].

أمّا جيرار جينيت فيرى: "أن تقليص بعض النّصوص لاقحامها في نصوص أخرى يدخل في صميم عمليّة التّناص، إلاّ أنّ التّقليص بهذا المعنى عمليّة تحويليّة تتعرض لها النّصوص المراد توظيفها في نص آخر"(محمّد أديوان ،1995).[28]

والإيجاز عمليّة ضغط للنص كي يبدو في صورة مصغرة، ويحدث بطريقتين:

1-طريقة داخليّة نصيّة يتم فيها اختصار النّص ذاتيا كما في التّلخيص والحذف.

2-طريقة خارجيّة يتم فيها زج بعض النّصوص أو أجزاء منها كما في التّلميح والاقتباس والتّضمين والتّرجمة (ناهم محمّد ،2004)[29].

أ. التّلميح: وهو الإشارة إلى حدث أو اسم أو قصّة مشهورة (كيليطو عبد الفتاح،1985)[30]، من دون أن يتم شرح هذا الاسم داخل متن النّص أو في هامش الصّفحة، إنّما يدع للقارئ حريّة استحضار هذا الاسم أو تلك القصّة، وهو أهم أنواع الإيجاز، إذ يعتمد فيه الخلفيّة الابستيمولوجيّة للقارئ ولا تتم هذه الآليّة إذا كان القارئ غير واع لها. (ناهم محمّد ،2004) [31] ويعتمد التّلميح على صدور إشارات من النّص الموجود حاليا (النّص الحاضر) إلى النّص الغائب.

ب. الحذف: وهو آليّة تكثيفيّة يلجأ إليها الشّاعر لغرض بلاغي شعري ويكون ثمة إشارة إلى هذا الحذف كالبياض والنّقاط وعلى القارئ ملء هذا البياض حتى يتم اكتمال المعنى المطلوب أو المعقول لدى القارئ. (المرجع نفسه) [32].

ج. التّلخيص: وهو على العكس من الباراكرام، فالأخير هو تمطيط لفكرة أو مقولة في بداية القصيدة كما في قصيدة (سفر أيوب) إذ مطط الشّطر (لك الحمد مهما استطال البلاء) حتى أصبح مقطعا كاملا أو نصا كاملا في شطر واحد أو أكثر.(المرجع نفسه) [33].

د. الاقتباس: والاقتباس في البلاغة هو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن والحديث ولا ينبه عليه للعلم به، وينظر إلى الاقتباس على أنه شكل من أشكال التّناص، إذ نجد

نظريّة (التّكراريّة) التي يلغي بها (دريدا) وجود حدود بين نص ونص أخر تقوم على مبدأ الاقتباس ومن ثم (تداخل النّصوص) لأنّ أي نص أو جزء من نص لهو دائم التّعرض للنقل أو سياق آخر في زمن آخر، فكل نص أدبي هو خلاصة تأليف لعدد من الكلمات، وهذه الكلمات سابقة للنص في وجودها، كما أنّها قابلة للانتقال إلى نص آخر (عبد الله الغذامي، 2006) [34]. والاقتباس إذا في نظر بعضهم شكل من أشكال تداخل النّصوص، واستلهام وامتصاص للتراث والتّفاعل معه إنّ نظريّة التّكراريّة التي يلغي بها (دريدا) وجود حدود بين نص وآخر تقوم على مبدأ الاقتباس ومن ثم تداخل النّصوص. (تركي المغيض،1991). [35] وإنّ السّياق يتداخل عبر الاقتباس فتتحرك الإشارات المكرورة كاسرة لحواجز النّصوص، وعابرة من نص إلى أخر حاملة معها تاريخ سياقتها المتعاقبة، فيتمدد معها الموروث الأدبي، وتنشأ من خلال حركتها فكرة (النّصوص المتداخلة) (عبد الله الغذامي،2006) [36]. ويعد الاقتباس آليّة تكثيفيّة (ايجازيّة) يتم من خلالها استحضار نصوص دينيّة معروفة عن طريق المتلقي الذي يعدّ جزءاً منها ويتم استذكارها كاملة، لأنها معروفة وليس هناك أدنى حاجة لذكرها كاملة في النّص. (ناهم محمّد ،2004) [37] ولكن علينا أن نعرف أنّ الهدف من الاقتباس هو التّفاعل مع النّصوص، والاستفادة منها ومحاورتها.

هـ. التّضمين: وهو أن يضمن من الشّعر بيتا فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه، والتّضمين كما هو معروف هو الاستشهاد ببيت أو أبيات عدة وهو " من المداخل التي عرج المتناصون عليها وذلك أن يستعير شاعر شطرا أو بيتا أو ربّما أكثر من شاعر آخر بإدراجه في بيت أو قصيدة له"(جلال الخياط،1998) [38]، وربّما كان التّضمين على درجة واسعة في الاستخدام لدى الشّعراء في اقتباس عبارة أو بعضها يوظفها الشّاعر في غرضه الشّعري لإنتاج دلالة جديدة، فالشّكل "الأكثر شيوعا للتناص لدى العرب كان يتمثل في "التّضمين" وهو اقتباس جزئي أو كامل لعبارة يوظفها الشّاعر لغرضه".(جهاد كاظم،1993). [39]

و. التّرجمة: وهي ترجمة الشّاعر الخاصّة لبعض الأبيات التي يضمنها في نصّه أو ترجمة لبعض النّصوص كاملة مع ذكر مؤلّفها ممّا يدخلها بعد هذا وسيلة من وسائل

آليّة الإيجاز، إنّ التّرجمة وسيلة تعبيريّة تناصيّة بدليل اختلاف التّرجمات المتعدّدة للنص الواحد، وذلك بسبب من أسلوب الشّاعر أو المترجم الذي ينقل المعنى الخاص بالنّص بأسلوبه الخاص وضمن معجمه الشّعري الخاص به (اختيار العنوان، اختيار بحر النّص المترجم وقافيته، ألفاظه خاصّة للنص المترجم من معجم الشّاعر الخاص به) (ناهم محمّد ،2004) [40].

وهذه الآليات (عبد الحميد جريوي،2003).[41] –كما أسلفنا–تظل غير نهائيّة ولا ثابتة، إنّما هي مجرّد اجتهادات محصورة في نصوص معينة، ومن البديهي –حينئذ– أن تكون آليات توظيف الشّخصيات مختلفة عن آليات توظيف نص مقدس أو حادثة تاريخيّة وبالتّالي فإنّ النّص الأدبي هو وحده الكفيل بإفراز هذه الآليات كما أنّ القراءة التّأويليّة هي المسؤولة عن اكتشافها من طرف القارئ الحصيف وهذا يعنى وجوب "أن نترك الأمر للنصوص لتقول كلمتها وتعبر بحريّة أكبر عن نفسها، ثم تحاول تحديد المفاهيم المختلفة لتجليات التّداخل النّصي"(سعيد الوكيل،1998)[42].

3.4. آليّة التّحرر:(مويسات هدى،2017): [43]إنّ المفكر أو المبدع يجب أن يكون لديه حصانة فكريّة تقيه من تشويش المواضيع الهامشيّة على تخصيص شعره لقضايا جوهريّة وحيويّة وأن يحترز كل الاحتراز من النّصوص التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فمثلا الشّاعر أو الكاتب المفكر الإسلامي تكون لديه قضايا حساسة ومهمة جدا مثل: قضيّة الأرض والعرض والحريّة والاستقلال والوحدة وعليه أن يكتب وفق هذه القضايا وأن "لا ينجر وراء القضايا الهامشيّة مثل العبث على الطّريقة الوجوديّة." (محمّد مفتاح،2000).[44]

5. تطبيق استراتيجيّة محمّد مفتاح في تحليل النّص النّثري دراسة في نص "نادي القلم ببغداد (أحمد طالب الإبراهيمي،1997)[45]".

1.5. آليّة التّمطيط في نص "نادي القلم ببغداد":

1.1.5 التّمطيط من خلال الشّرح: نلاحظ أنّ الإمام في نصّه" نادي القلم" راح يكثر من الشّرح والتّفصيل ممّا أدى إلى توسيع النّص، وهذا ما استهل به نصّه عندما عرّف نادي القلم بقوله: "نادي القلم، اسمٌ شعري لطيفٌ، عليه من السّماء صفاؤه، ومن

الرّبيع أنداؤه، وفيه من آثار الله وصقله، ومن مساوقة الفطرة وبساطة التّركيب، وفيه من الغمام ما يحكي وَدَقه، وفيه من الواقع ما يحقق صِدْقه."(المصدر، نفسه). [46] ففي هذه الفقرة كان حديث الإمام كلّه عن نادي القلم، بالتّعريف به وذكر أوصافه ومحاسنه وبصمته المؤثرة.

وفي فقرة أخرى تناول الإمام النّوادي والجمعيات إلاّ أنّه فصّل فيها، ممّا أدى إلى كثرة العبارات التي تصب في قالب ودلالة واحدة مثلا قوله:" أسماء النّوادي والجمعيات كأسماء الأناسي، فيها الصّادق والكاذب، ولكن الفارق الجوهريَّ بينهما أنّ أسماء الأناسي تُوضَع من غير اختيار أصحابها ولا مشورتهم، ومن غير ترقُّب لتحقق معنى الاسم في المسمَّى، وتوضع في غمرة من الفرح بالكائنات الجديدة"(المصدر، نفسه).[47] فعند تدقيقك في هذه الفقرة تجد أنه أعاد الكلام في نفس المعنى بقوله: "تُوضَع من غير اختيار... ومن غير ترقُّب لتحقق"، ففي هذه العبارات تطرق للنوادي والجمعيات ولم يحد في الحديث عنها، أي تغيير اللفظ بدلالة واحدة فقط.

وأيضا من الشّرح الذي تبيّن وكان بارزا في النّص من قوله: "لي من الصّلات الطّبيعيّة بنادي القلم أنني أحدُ هذه العُصبة التي تتَّخذ من القلم أداةَ جهادٍ في زمنٍ لغةُ بَنِيه أبعدُ ما تكون عن القلم"(المصدر، نفسه).[48]، فالعبارة الثّانيّة كانت شرحا لما قبلها عندما أشار إلى هذه العصبة، وأيضا من قوله: "ولي من الصّلات المتينة بهذا النّادي أنّ الرّجال الذين هم عُمُده ودعائمه من أصدقائي الذين أعتزُّ بصداقتهم، وأعدُّ لقاءهم والتّعرُّف إليهم فصلاً حافلاً بالفخر من تاريخ حياتي؛ كالأستاذ الجليل شاعر العروبة: محمّد رضا الشّبيبي، والأستاذ الأديب: محمّد بهجة الأثري، والأستاذ الدّكتور: محمّد فاضل الجمالي، والدّكتور: أحمد سوسة، والدّكتور: جواد علي، وجمهرة أعضاء نادي القلم." (المصدر، نفسه).[49] فهنا عندما تدقق في العبارة ذكر الرّجال بالعموم ثمّ بدا بالتّفصيل بذكره، أنهم عمده ودعائم، ثم زاد تفصيلا بذكرهم وضبط أسمائهم.

وقد ورد توسيعا وتفصيلا أيضا في فقرة أخرى من قوله: "وإنّ أوَّل الواجبات عليهم أن يلمُّوا ما أصابها من شعث، ويقوُّوا ما انتابها من وهَن، وأن يردُّوا على هذه الحرفة التي يُباشرها القلم هيبتَها في القلوب، وتأثيرها في النّفوس، ومكانتها بين النّاس، وأن

يَتْلِموا بهذه الأدوات الضّعيفة قوَّةَ الأقوياء، ويلينوا بها قسوة القساة، وأن يردُّوا بها حجَّة السّيف داحضةً، والسّيف مفلولاً،"(المصدر، نفسه).[50]، فتطرق الإمام الابراهيمي لواجبات نادي القلم فتجده يعيد الدّلالة بلفظ مغاير تصب في قالب واحد وهو قوله: "أن يلمّوا ما أصابها من شعث" وباقي العبارات ماهي إلاّ دعم ما استهل به بداية الفقرة.

وها هو في عبارة أخرى شبّه نادي القلم بالمتحف وعدّد ما يحتوي المتحف من أشياء، فتمددت الفقرة بنفس الدّلالات وذلك من قوله: " أيها الإخوان الزّملاء، لا يفهمُ النّاس من نادي القلم أنه متحفٌ للأقلام يضمُّ أنواعها وأشكالها، وتطورات جواهرها على الزّمن من القصب إلى الذّهب"(المصدر، نفسه)[51].

ومن الشّرح الذي ذكره في الفقرة الأخيرة قوله: "إنّ كريمةَ كرائم الشّعوب هي القلم المحرِّر، واللّسان المعبِّر، والعقل المدبِّر"(المصدر، نفسه). [52]، حيث أعاد نفس الدّلالة عندما تناول القلم المحرّر فزاد عنه اللسان المعبّر ثم زاد بينه وشرحه وقال هو العقل المدبّر .

2.1.5 التّمطيط من خلال التّكرار: نلاحظ أنّ الإمام يكرر في هذا النّص الكلمات والعبارات والأصوات وهذه خاصيّة لازمة فيه، أي أنّه يستعين بلفظ ما استعمله وما استحضره.

فمن التّكرار الوارد في النّص تكرار لفظ و"فيه من" في الفقرة الأولى من قوله: " وفيه من آثار الله وصقله...، وفيه من الغمام ما يحكي وَدَقه، وفيه من الواقع ما يحقق صِدْقه." ومثلا كذلك تكرار الذي حدث في هذه العبارة من قوله: "كأسماء الأناسي، فيها الصّادق والكاذب، ولكن الفارق الجوهريَّ بينهما أن أسماء الأناسي تُوضَع من غير اختيار أصحابها ولا مشورتهم، ومن غير ترقُّب لتحقق معنى الاسم في المسمَّى، وتوضع في غمرة من الفرح بالكائنات الجديدة، فيدخل فيها –أوَّل ما يدخل–عنصرُ التّفاؤل المبنِي على الأماني، أو عنصر التّوقي من العين أو من الموت"(المصدر، نفسه).[53] فالكلمات المتكررة في هذه الفقرة هي: الأناسي، توضع، من غير، فيدخل، عنصر.

وتكررت حروف الجر المتمثلة في: في، من وكذلك تكرار حروف الرّبط مثلا: الواو أو... .

إنّ المتتبع لظاهرة التّكرار في هذا النّص يجده متنوعاً بين العبارات والتّراكيب والكلمات والحروف والدّلالات، فكل هذه الجوانب وظفها الكاتب ليخلق مساحة أكبر يتفاعل به النّص الحاضر، وتعدّ ظاهرة التّكرار خاصيّة من خصائص أسلوب الكاتب حيث أغلب النّصوص لا تكاد تخلو منها هذه الظّاهرة، واستعمل الكاتب التّكرار هنا ليحاول الرّبط بين عبارات النّص وتأكيد وصفه لهذا النّادي وتبيان قيمته، لهذا فالتّكرار أدرج لدلالة التّأكيد وهذا ما تناوله ابن أبي الإصبع المصري (654 م) بقوله:" والتّكرار أن يكرر المتكلّم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف، أو المدح أو الذّم أو التّهويل أو الوعيد .."(ابن أبي الاصبع المصري، 654هـ، تح حنفي محمّد شرف، 2012).[54]

3.1.5 التّمطيط من خلال الأناكرام: ورود الجناس من قوله: وَدَقه، صِدْقه وكذلك من قوله: السّماء والسّماوة، تنفع وتدفع، وترفع وتسفع، الغريب والمريب والمنيب تكسد وتفسد، المعبِّر والمدبِّر، اتضحت لنا ظاهرة الأناكرام طاغيّة في نصوص الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، وهذا بسبب انتمائه إلى مدرسة الصّنعة اللفظيّة، وهذا ما ظهر لنا من خلال تعدّد المحسن البديعي الجناس في ثنايا النّص "نادي القلم ببغداد"، وورود ليضفي عليه جماليّة في السّياق.

4.1.5 التّمطيط من خلال البراكرام: وظف الكاتب كلمة محوريّة في هذا النّص فعمد إلى توسيعها عن طريق الوصف والسّرد والتّوضيح ومن الأوصاف الواضحة من قوله: اسم شعري لطيف، فيها الصّادق والكاذب،... صادقةً دائمًا،... ولي من الصّلات المتينة... أبنائها البررة... الأدوات الضّعيفة. وأن يردُّوا بها حجَّة السّيف داحضةً والسّيف مفلولاً... محلُّها القلوب الواعيّة، ومظهرُها الهمم السّاعيّة،... هذه القوافل الخابطة... إنّ كريمةَ كرائم الشّعوب هي القلم المحرِّر، واللِّسان المعبِّر، والعقل المدبِّر... بأقلامكم الهاديّة هذه الأقلامَ الضّالَّة." (أحمد طالب الإبراهيمي،1997)[55] تجلّى البراكرام في هذه الفقرة لما تحتويه من نعوت وصفات، وردت مفسرة وموضحة لما قبلها، مما أدى إلى زيادة في مساحة النّص بسبب كثرة هذه الأوصاف التي تصب في قلب واحد أو دلالة واحدة فقط.

ومن الحشو الزّائد الذي أدرجه الإمام في نصّه من قوله مثلا: "يجب عليكم أن تُوجِّهوا بأقلامكم الهاديّة هذه الأقلامَ الضّالَّة، ثم تتوجَّهوا جميعًا إلى الوجهة السّديدة التي تنفع وتدفع، وترفع وتسفع وتشفع، واسمعوا منِّي معمولات هذه العوامل: إنّ الوجهة السّديدة هي التي تنفع القريب، وتدفع الغريب، وترفع القناع عن المريب، وتشفع للمنيب وتسفع المعتدين بالنّاصيّة""(المصدر، نفسه).[56]، فمثلا كان يكتفي بقوله توجهوا جميعا الى الوجهة السّديدة التي تنفع وتدفع، إلاّ أنّه زاد عبارات تعتبر في السّياق حشوا نستطيع الاستغناء عنها والاكتفاء بالعبارة الأولى فقط لما تحمله من معاني كبيرة يؤولها المتلقي حسب فهمه وإدراكه، مما يترك له إعمال خياله الجامح.

5.1.5 التّمطيط من خلال الاستعارة: من قوله: "رجعتُ وأقلامي قوائل لي:" (المصدر، نفسه)[57]، حيث شبه الأقلام بالإنسان وحذف المشبه به وترك خاصيّة منه دالة عليه هي: "قوائل لي" فهذا على سبيل الاستعارة المكنيّة.

فيمحو القطيعة بالوصال" حيث شبه الوصال بشيء مادي له أثر وحذف المشبه به وترك شيئا من لوازمه يدل عليه هي "يمحو" وهذا من طريق الاستعارة المكنيّة.

"وكما يحتاج السّيف إلى ساعد قويٍّ، يحتاج القلم إلى فكر مسدَّد"، "(المصدر نفسه).[58]، شبه السّيف بالشّخص الذي يطلب الإعانة والمساعدة وحذف المشبه به وترك شيئا من خصائصه: لفظ "يحتاج"، وهذا ورد من طريق الاستعارة المكنيّة.

2.5. آليّة الإيجاز: من النّصوص الغائبة التي كان لها الدّور الفعال في هذا النّص والتي تداخلت وحضرت بقوة فيه هو الاقتباس القرآني وهذا ما ورد من قول الكاتب: "وفيه من الغمام ما يحكي وَدَقه "(المصدر، نفسه)[59]فكلمة ودق تناصت مع ما ورد في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ**﴾(سورة النّور الاية43).[60] ،قد تناصت مع قول الشّاعر(الجوهري،2009)[61] ما ورد في كتاب الصّحاح : "الوَدْقُ: المطرُ. وقد وَدَقَ يَدِقُ وَدْقاً، أي قَطَرَ. قال الشّاعر:

فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها ... ولا أَرْضَ أبقَلَ إبْقالَها"

وورد في "تاج العروس"(الزّبيدي،1994)[62]: "الودق هو المطر كله شديده وهيّنه قال زيْدُ الخيْلِ:

ضرَبْنَ بغَمْرةٍ فخرَجْنَ منها ... خُروجَ الودْقِ من خلَلَ السّحابِ"

أمّا العبارة الأخرى التي ذكرت واقتبست من قوله:" ولكن الفارق الجوهريَّ بينهما أن أسماء الأناسي تُوضَع من غير اختيار أصحابها ولا مشورتهم"(أحمد طالب الإبراهيمي،1997)[63]، إذ أخذها الإبراهيمي اقتباسا من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الذي أَرْسَلَ الرّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السّمَاء مَاء طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا**﴾(سورة الفرقان الاية49) [64]. وقد قال الإمام الطّبري في تفسيرها(الطّبري،2001)[65] (467/17): "جَمْعَ إِنْسَانٍ وَجَمْعَ أَنَاسِيٍّ فَجَعَلَ الْيَاءَ عِوَضًا مِنَ النّونِ التي فِي إِنْسَانٍ.

أمّا قوله: "وهذا يرجع إلى المزاعم التي لم تفارق الإنسان؛ بدويًّا وحضريًّا، ولم يفارقها وثنيًّا ومتألهًا." لاحظ كيف لا يكتفي أمثاله بتصحيح الاعتقاد ومحاربة الشّرك بل هم في دعوة دائمة إلى التّفكير، وحياتهم كلها نصح وتذكير... وإنّ العبارة السّابقة دالة على شخصيّة صاحبها وعلاقته بالأمس واليوم والغد! إنّها كلمات دالة على أنّه يختصر لك اختصارا رغم غزارة معارفه وسعة علومه وتنوع فهومه... إنّها كلمات إنسان رباني بمعني الكلمة، يقصد بكلمة المتأله عكس الوثني... بدلالة اللفظين (التّقسيم) وبدلالة المقابلة فيهما وفيما قبلهما، وبدلالة ذات اللفظ، فالمتأله هو المتعبد، فهو عكس الملحد الذي لا دين له وعكس من يعبد آلهة من دون الله تعالى.

والإمام الإبراهيمي هنا يريد من المتعبدين الوصول كمال التّعبد، ويريد لهم صلاح الدّنيا والدّين والسّعادة في الدّارين بالحث على مزيد من التّفكير والعلم والفهم وبترجمة ذلك عمليا في كل مظهر وفي كل وقت وبكل دقة ...وهذا شأن العلماء الرّبانيين المصلحين.

أمّا ما تناص من حديث النّبي صلّى الله عليه وسلّم من قول الإبراهيمي في نصّه:" القلم بين أهله رحمٌ يجب أن تبلَّ ببِلالِها"(أحمد طالب الإبراهيمي،1997)،[66] إذ أورد الامام عبارة تبلّ ببلالها في نصّه مستوحاة من الحديث الذي رواه مسلّم (204) في

مخاطبة النّبي –صلّى الله عليه وسلّم–لقومه وفيه قوله: "... يا فاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النّارِ، فإنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شيئًا، غيرَ أنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّها بِبَلالِها".[67] وقد واصل الإبراهيمي كلامه عن الرّحم التي تربطهم بأصحاب النّادي، وهو بهذا يستعمل معنى ما ورد في صلة الرّحم للكلام عما يوجبه العلم كرحم بين أهله، وهي عبارة مشهورة.

ومعنى قوله: "سأبلها ببلالها" قال عنه النّووي في "شرح صحيح مسلّم": "... معنى الحديث سأصلها، شبهت قطيعة الرّحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة ومنه: (بلوا أرحامكم) أي: صلوها".[68]

أمّا عن عبارة:" وغيرُ كثيرٍ على ذويها أن يتعارَفوا، وأن يتنازعوا أمرهم بينهم""(أحمد طالب الإبراهيمي،1997)[69]. هذا مأخوذ من القرآن الكريم، وهذا في قوله تعالى: فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى"(سورة طه. الآية62)[70].

وما كان يستدل به الأديب من طريق آليّة الإيجاز عبر ظاهرة التّضمين حيث استشهد بنصوص شعريّة فمثلا في مقاله: " في نادي القلم ببغداد " في الجزء الرّابع من كتاب الآثار(أحمد طالب الإبراهيمي،1997)[71] عندما استدل بأبيات للشاعر أبي العيناء:

تبّـا لدهـر قـد أتـى بـعجـاب ... ومحا فنون الفضـل والآداب

وأتى بكّتاب لو انبسطت يدي ... فيهـم رددتهم إلـى الكتـــاب

وقد ضمن الأبيات الشّعريّة التي لم يعرف أصحابها فينسبونها إلى كما **قال الأوّل:**

فهذي سيوفٌ يا عَدِيُّ بنَ مالكٍ... كثيرٌ ولكن أين بالسّيف ضاربُ

هذا البيت ينقل بدون ايعازه إلى شاعر معين، وإنّما يقولون: كما قال الأوّل...

أمّا عن التّلميح الوراد في نصّه من قوله:"شتَّان ما بين السّماء والسّماوة"(نفسه)[72] هذه الكلمة لمحت إلى السّماوة مدينة عراقيّة تقع جنوب العراق على ضفاف نهر الفرات هي مركز محافظة المثنى، تبعد بمسافة 280 كم جنوب غرب بغداد، وفي المعجم

الوسيط: "السّمَاوَةُ من البيت وغيره: سقفُهُ. والسّمَاوَةُ من كل شيء: شَخْصُهُ أَو طلعَتُه. وسماوةُ الهلال: شَخْصُهُ إذا ارتفع عن الأُفْق شيئًا. والجمع: سَمَاءٌ. وسَمَاوٌ.

فالعلامة الإبراهيمي يقصد النّسبة إلى المدينة المذكورة آنفا، وهذا لأنّه يخاطب أهل العراق، ولأنّ معناها أبعد عن معنى السّماء ممّا ذكروه في "المعجم الوسيط". وتأمل سعة اطلاع الشّيخ وقدرته على الرّبط بين الأمور حيث أورد في نصّه عبارة من قوله:" فمن السّخافة في عقلِ العقلاء أن يقال: إنهما واحد؛ لأنّ النّسبة إلى كليهما في حُكم اللغة واحدة "(نفسه)[73]، أي: أنّ سماوي، تكون في التّعبير عمن ينسب إلى السّماء وفي من ينسب إلى السّماوة، فمن لا علم عنده يساوي بين اللفظين السّابقين بمجرد تساويهما في النّسبة إليهما من جهة اللفظ (سماوي).

ونلاحظ اقتباسا آخر من قوله: "لقد أحسنتم وهُديتهم إلى الطّيّب من العمل" (نفسه)[74] العلامة الإبراهيمي هنا يقتبس أيضا من القرآن الكريم، فقد قال تعالى: ﴿**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ**﴾(سورة الحج. الاية 24)[75].

أمّا قوله: "كل هذه الأدران لا ترحض"(أحمد طالب الإبراهيمي،1997) [76] تُرحَض: تُغسل، ومن ذلك ما جاء في الحديث الذي رواه التّرمذي (1797) وصححه الألباني عن أبي ثعلبة الخشني أنه قال يا رسولَ اللهِ ! إنّا بأرضِ أهلِ الكتابِ، فنطْبُخُ في قُدورِهم، ونشربُ في آنيتِهم؟ فقال رسولُ اللهِ –صلّى الله عليه وسلّم–: "إنَّ لم تجدوا غيرَها فارْحَضوها بالماء".(الألباني،2000)[77] فالإبراهيمي جعل الأقلام منظفة للأمة من أدران كل فكر فاسد وبلاء وافد كما ينظف الماء أدران الأجسام والأعيان، وهذا موجود في أكثر من حديث، ومنها الحديث الذي جعل فيه النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– الصّلوات الخمس كنهر يغتسل منه المسلّم خمس مرات في اليوم.

أمّا قوله: "وواعجبًا كيف يُصيب العراقَ جفافُ الثّرى حتى تجلِبَ القوت الغالي من الخارج وفيها الرّافدان" "(أحمد طالب الإبراهيمي،1997) [78]. فهنا تلميح لنهر الفرات والدّجلة وقيمتهما العتيقة، الرّافدان هما الفرات والدّجلة، والإبراهيمي هنا يعبر عن تواضعه حين يتكلم عن نفسه، ويشحذ همم أهل العراق في العلم والعمل والدّين والدّنيا: لأننا إذا حملنا كلامه على ظاهره كان دعوة لتنميّة العراق فلاحيا وصناعيا، وإذا فهمناه

في سياقه كان كلاما علميا وفكريا يجعل به أهل العراق كالرّافدين ويجعل نفسه دونهم ومن عرف الإبراهيمي في مكانته العلميّة والفكريّة يستطيع حمل كلامه على هذه المعاني كلها ظاهرا ومؤولا ومنطوقا ومفهوما وصريحا وتوريّة...

ومن قوله: "أم كيف يُصيب العراقيِّينَ جفافُ الفكر والعقل حتى يستعيروا المبادئ الضّارة من الأجنبي" (نفسه)[79]، فهنا تلميح لجانب تاريخي لدخول هذا الأجنبي ولعله يشير إلى ما وقع للعراق من دخوله في أحلاف وفي أمور كانت في تلك الأيام ثم كان آخرها النّظام البعثي ...

ومن قوله: " يجب عليكم أن تُوجِّهوا بأقلامكم الهاديّة هذه الأقلامَ الضّالَّة، ثم تتوجَّهوا جميعًا إلى الوجهة السّديدة التي تنفع وتدفع، وترفع وتسفع "(نفسه)[80]، وهو أيضا من الاقتباس القرآني، لقوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿**كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنّاصِيّةِ**﴾ (سورة العلق الاية 15).[81] .

ومن قوله الدّال على الاقتباس من القرآن الكريم حيث يقول في نصّه: "إن القلم الذي نسبتُم ناديَكم إليه ذو نَسَبٍ عريق في دينكم وفي آدابكم، فأيُّ دين من الأديان السّماويّة مَجَّد القلم كما مَجَّده الإسلام، أو وضعه في منزلةٍ مثل المنزلة التي وضعه فيها القرآن" (الابراهيمي ،1997)[82]، نلاحظ أنّه تطرق لفظ القلم الذي ذكر في القرآن الكريم في أول آيات نزلت من سورة العلق كان من بينها الاية التي تذكر القلم: قال سبحانه وتعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ (سورة العلق الاية 05)[83] .، وعن ابن عباس –رضي الله عنه– عن النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– : "إنّ أوّل شيء خلقه الله تعالى القلم وأمره أن يكتب كل شيء يكون"،[84] وهو في " السّلسلة الصّحيحة" (257/1–258).

وقد ضمّن الإمام الإبراهيمي اية من القرآن الكريم يذكر فيها عن عظمة القلم من قوله تعالى: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ (سورة القلم الاية01).[85]، وأورده في "الصّحيحة" (374/7–377) [86] عن ابن عمر –رضي الله عنه–عن النّبي –صلّى الله عليه وسلّم: "إنَّ أوّل شيءٍ خَلَقَهَ الله –عزَّ وجلَّ–: القلمُ، فأخذَهُ بيمينه –وكلتا يديهِ يمين –قال:

فكتبَ الدّنيا وما يكونُ فيها من عملٍ معمولٍ: برٍّ أو فجورٍ، رطب أو يابس، فأحصاهُ عندَه في الذّكر، ثم قال: اقرَأُوا إن شئتم: [هذا كتابُنا يَنْطِقُ عليكم بالحق إنّا كنّا نَسْتَنْسِخُ ما كنتم تعملون]؛ فهل تكون النّسخةُ إلاّ مِنْ أمرٍ قد فُرِغَ منه".

ومن قوله أيضا: "فإن سَوقَه دائمًا إلى رواج، ولا يصحُّ في الأذهان، أن يأتي يوم تستغني فيه الأمم عن القلم "[87] يشير هنا إلى بيت للمتنبي:

وَلَيسَ يَصِحّ في الأفهامِ شيءٌ ... إذا احتَاجَ النّهارُ إلى دَليلِ

والبعض يذكر بدل كلمة " الأفهام" كلمة " الأذهان".

وأيضا يقول:" القوة اليوم بالأقلام، وبالجواري المنشآت في البحر كالأعلام." [88] هو هنا يشير إلى القوة العلميّة والفكريّة ثم القوة العسكريّة من خلال الأساطيل البحريّة، وقد اقتبس هنا من قوله تعالى: ﴿**وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ**﴾ (سورة الرّحمان الاية24).[89] ، وفي اية أخرى قال سبحانه: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ**﴾ (سورة الشّورى الاية32) [90].

ونلاحظ أنّ الإمام استشهد ببيت شعري لأحمد شوقي: لقد سمعنا "شوقي" يخاطب التّرك بقوله:

نحنو عليكم ولا ننسى لنا وطنًا ... ولا سريرًا ولا تاجًا ولا عَلَما

هذي كرائمُ أشياءِ الشّعوبِ فإنْ ... ماتَتْ فكلُّ وجودٍ يُشبِهُ العَدَما

ويقول الإبراهيمي:" إنّ كريمةَ كرائم الشّعوب هي القلم المحرِّر، واللّسان المعبِّر والعقل المدبِّر، فإذا ضاعت هذه، فالوجود هو العدم"[91]. يعني: أفضل ما لدى الشّعوب هو العلم المثمر للفهم والكتابة والبيان.

وفي قصّة معاذ –رضي الله عنه–لمّا أرسله النّبي –صلّى الله عليه وسلّم –إلى اليمن من حديث ابن عباس يرفعه: "... فإياك وكرائم أموالهم"(البخاري،2002) [92].

6. خاتمة: نخلص من خلال هذه الدّراسة أنّ مفاد التّكرار عند الإمام محمّد البشير الإبراهيمي في نصّه" نادي القلم ببغداد" استمراريّة المعاني وتكثيف النّص واتساعه إضافة إلى تنوع الدّلالات ولفت انتباه المتلقي وتوكيد المعنى وترسيخه في الذّهن ويؤدي التّكرار كذلك وظيفة دلاليّة عند الكاتب، إضافة إلى كونه يؤدي إلى تحقيق التّماسك

الشّكلي بين جمل النّص. وقد اعتمد الإبراهيمي على الشّرح والتّفصيل والتّفسير والتّوسيع في إيصال أفكاره عن طريق آليّة التّمطيط تحت ظاهرة التّناص.

لهذا لعب التّناص الدّاخلي والخارجي دورا هاما في تحقيق النّصيّة عند الإمام، حيث ساعد التّناص معياري الاتساق والانسجام في تماسك وترابط النّصوص لهذا تعدّدت التّوظيفات للنصوص السّابقة عند الإمام محمّد البشير الإبراهيمي واقتصرت هذه التّوظيفات في: النّصوص الأدبيّة ونصوص الأمثال والحكم، والنّصوص التّاريخيّة ...وغيرها.، فهنا كانت قدرة الإمام وبراعته وخبرته في توظيف النّصوص الغائبة، وهذا يدل على ثقافته الموسوعيّة التي يتميز بها ممّا استطاع أن يبني نصوصه بذلك المخزون الثّقافي الذي مكنّه من التّفاعل مع نصوص أخرى غائبة للتعبير عن مواقف معاصرة.

6. قائمة المراجع: †

1.6 قائمة المصادر:

1. القرآن الكريم.
2. السّنة النّبويّة الشّريفة.
3. أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمّد البشير الابراهيمي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1997.

2.6 قائمة المراجع:

1. ابتسام موسى عبد الكريم أبو شرار، التّناص الدّيني والتّاريخي في شعر محمود درويش، (مذكرة ماجيستير) جامعة الخليل، 2007.

2. ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التّحبير في صناعة الشّعر والنّثر، تر حفني محمّد شرف، الجمهوريّة العربيّة المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الاسلاميّة، (585هـ-654).

3. ابن منظور، لسان العرب، الدّار المتوسطة للنشر والتّوزيع تونس، ط1 1426-2005، ج4.

4. أبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري، تفسير الطّبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح عبد الله بن محسن التّركي، ط1، دار هجر، القاهرة، ج17 ،2001.

5. أبي نصر بن إسماعيل بن حماد الجوهري، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، راجعه محمّد محمّد تامر، دار الحديث، القاهرة ،2009.

6. أبي عبد الله محمّد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير، بيروت ،2002.

7. تركي المغيض، التّناص في معارضات البارودي، مجلّة أبحاث اليرموك سلسلة الآداب واللغويات، الأردن، مجلد 9، عدد 2، 1991.

8. جلال الخياط، متاهة التّناص، مجلّة الآداب، بيروت، ع 1-2، 1998.

9. جهاد كاظم، أدونيس منتحلا، دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجاليّة التّرجمة يسبقها ما هو التّناص ، مكتبة مدبولي(مكتبة الفكر الجديد) ،القاهرة ،ط2، 1993.

10. روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، مصر، ط2، 2007م.

11. الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، ج18. ط2 دار الفكر، لبنان، 1994.

12. سعيد الوكيل، تحليل النّص السّردي، معارج ابن عربي نموذجا، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ط1، 1998.

13. ظاهر محمّد الزّواهرة، التّناص في الشّعر العربي المعاصر، التّناص الدّيني نموذجا، دار الحمد للنشر والتّوزيع، ط1، عمان: الأردن،2013.

14. عبد الحميد جريوي، تجليات التّناص في شعر عفيف الدّين التّلمساني، مذكرة ماجستير، كليّة الآداب والعلوم الانسانيّة، جامعة ورقلة، 2003-2004 .

15. عبد الله الغذامي: الخطيئة والتّفكير، من البنيويّة إلى التّشريحيّة نظريّة وتطبيق المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط6، 2006م.

16. عبد الملك مرتاض، نظريّة النّص الأدبي، مجلّة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 201، كانون ثاني، 1988.

17. علوي الهاشمي، ظاهرة التّعالق النّصي في الشّعر السّعودي الحديث، كتاب الرّياض مؤسسة اليمامة الصّحفيّة الرّياض، ط1، 1988.

18. كيليطو عبد الفتاح، الكتابة والتّناسخ (مفهوم المؤلف في الثّقافة العربيّة)، تر عبد السّلام بن عبد العالي، دار التّنوير للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1 ،1985.

19. محمّد أديوان، مشكلة التّناص في النّقد الأدبي المعاصر، مجلّة الأقلام، ع 4 5، 6، بغداد.1995.

20. محمّد بنيس، ظاهرة الشّعر المعاصر في المغرب العربي مقاربة بنيويّة تكوينيّة دار التّنوير للطباعة والنّشر، بيروت، ط2، 1985.

21. محمّد ناصر الدّين الألباني، صحيح سنن التّرمذي، مكتبة المعارف للنشر والتّوزيع، الرّياض، السّعوديّة، ط1، 2000.

22. محمّد ناصر الدّين الألباني، سلسلة الأحاديث الصّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتّوزيع، الرّياض، السّعوديّة، ط1، ج1995،1.

23. محمّد عزّام، النّصُّ الغائب تجلّيات التّناصّ في الشّعر العربي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001.

24. محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، استراتيجيّة التّناص، المركز الثّقافي العربي، ط3، الدّار البيضاء، 1992.

25. محمّد مفتاح، مشكاة المفاهيم، النّقد المعرفي والمثاقفة، المركز الثّقافي العربي الدّار البيضاء، المغرب، ط2000،1.

26. مويسات هدى، التّناص ودلالتّه في الرّواية الجزائريّة المعاصرة رواية قديشة لرابح ظريف أنموذجا، كليّة الآداب واللغات، جامعة المسيلة 2017.

27. ناهم أحمد، التّناص في شعر الرّواد، سلسلة رسائل جامعيّة – بغداد، ط1 2004.

28. نعيم قعر المثرد، استراتيجيّة التّناص في رواية ""سرادق الحلم والفجيعة" "" لعز الدّين جلاوجي"". مذكرة ماجيستير، كليّة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة 2010-2011.

29. يحيى بن شرف النّووي، شرح صحيح مسلّم، ط2، مؤسسة قرطبة، القاهرة ج3،1994.

7. هوامش‡:

1- روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ص 424.

2- المرجع نفسه، ص 425.

3- المرجع نفسه ص:426

4- محمّد عزّام، النّصُّ الغائب تجلّيات التّناصّ في الشّعر العربي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2001، ص11.

5- ابن منظور، لسان العرب، الدّار المصريّة للتأليف، القاهرة، 1978، مادة (ن ص ص) ص97.

6- الزّبيدي، تاج العروس، ج 18، ص 182.

7- ابتسام موسى عبد الكريم أبة شرار، التّناص الدّيني والتّاريخي في شعر محمود درويش (مذكرة ماجيستير) جامعة الخليل، 2007، ص12.

8- عبد الملك مرتاض، نظريّة النّص الأدبي، مجلّة الموقف الأدبي، العدد 201، السّنة 17 1988، دمشق، ص 55.

9- علوي الهاشمي، ظاهرة التّعالق النّصي في الشّعر السّعودي الحديث، كتاب الرّياض مؤسسة اليمامة الصّحفيّة الرّياض، ط1988،1 ص 21.

10- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتّكفير، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط6، 2006، ص 288.

11- محمّد بنيس، ظاهرة الشّعر المعاصر في المغرب العربي مقاربة بنيويّة تكوينيّة، دار التّنوير للطباعة والنّشر، بيروت، ط2، 1985، ص 251.

12- المرجع نفسه، ص 253.

13- محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، استراتيجيّة التّناص، المركز الثّقافي العربي ط3، الدّار البيضاء، 1992، ص 123.

14- نعيم قعر المثرد، استراتيجيّة التّناص في رواية ""سرادق الحلم والفجيعة"" لعز الدّين جلاوجي، ص36.

15- محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، استراتيجيّة التّناص، المركز الثّقافي العربي، ط3 الدّار البيضاء، 1992، ص129-130.

16- نعيم قعر المثرد، استراتيجيّة التّناص في رواية "سرادق الحلم والفجيعة" لعز الدّين جلاوجي، ص36.

17- محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، استراتيجيّة التّناص، ص125-126.

18- المرجع نفسه، ص125-126.

19- المرجع نفسه، ص125-126.

20- المرجع نفسه، ص125-126.

21- المرجع نفسه، ص125-126.

22- نعيم قعر المثرد، استراتيجيّة التّناص في رواية "سرادق الحلم والفجيعة" لعز الدّين جلاوجي، ص36.

23- محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، استراتيجيّة التّناص، ص125-126.

24- نعيم قعر المثرد، استراتيجيّة التّناص في رواية "سرادق الحلم والفجيعة" لعز الدّين جلاوجي، ص36.

25- ظاهر محمّد الزّواهرة، التّناص في الشّعر العربي المعاصر، التّناص الدّيني، نموذجا الأردن، ص 71.

26- ناهم محمّد، التّناص في شعر الرّواد، ص 93.

27- محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، استراتيجيّة التّناص، ص127.

28- محمّد أديوان، مشكلة التّناص في النّقد الأدبي المعاصر، مجلّة الأقلام، ع 4، 5، 6 بغداد، ص 47.

29- ناهم أحمد، التّناص في شعر الرّواد، سلسلة رسائل جامعيّة – بغداد، ط1، 2004، ص 93.

30- كيليطو عبد الفتاح، الكتابة والتّناسخ (مفهوم المؤلف في الثّقافة العربيّة)، تر عبد السّلام بن عبد العالي، دار التّنوير للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1 ،1985، ص25.

31- ناهم أحمد، التّناص في شعر الرّواد، ص94.

32- المرجع نفسه، ص98.

33- المرجع نفسه، ص98.

34- عبد الله الغذامي: الخطيئة والتّفكير، من البنيويّة إلى التّشريحيّة نظريّة وتطبيق المركز الثّقافي العربي، ط6 2006م ص55.

35- تركي المغيض، التّناص في معارضات البارودي، مجلّة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، الأردن، مجلد 9، عدد 2، 1991، ص 117.

36- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتّفكير، ص56.

37- ناهم أحمد، التّناص في شعر الرّواد، ص99-100.

38- جلال الخياط، متاهة التّناص، مجلّة الآداب، بيروت، ع 1-2، 1998، ص 53.

39- جهاد كاظم، أدونيس منتحلا، القاهرة، ط2، 1993، ص13.

40- ناهم أحمد، التّناص في شعر الرّواد، ص102-103.

41- عبد الحميد جريوي، تجليات التّناص في شعر عفيف الدّين التّلمساني، مذكرة ماجستير كليّة الآداب والعلوم الانسانيّة، جامعة ورقلة، 2003، ص35.

42- سعيد الوكيل، تحليل النّص السّردي، معارج ابن عربي نموذجا، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ط1، 1998، ص 101.

43- مويسات هدى، التّناص ودلالتّه في الرّواية الجزائريّة المعاصرة رواية قديشة لرابح ظريف أنموذجا، كليّة الآداب واللغات، جامعة المسيلة 2017، ص41.

44- محمّد مفتاح، مشكاة المفاهيم، النّقد المعرفي والمثاقفة، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1 ،2000 ص172.

45-أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمّد البشير الابراهيمي، ج4، ص205.*45*

46- المصدر نفسه، ج4، ص205.

47- المصدر نفسه ج4، ص205.

48- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمّد البشير الابراهيمي، ج4، ص206.

49- المصدر نفسه، ج4، ص206.

50- المصدر نفسه، ج4، ص206.

51- المصدر نفسه، ج4، ص207.

52- المصدر نفسه ج4، ص207.

53- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمّد البشير الابراهيمي، ج4، ص205.

54- ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التّحبير في صناعة الشّعر والنّثر، تر حفني محمّد شرف، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الاسلاميّة، (585هـ -654)، 2012ص375.

55- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمّد البشير الابراهيمي، ج4، ص208.

56- المصدر نفسه، ج4، ص208.

57- المصدر نفسه ج4ص206.

58- المصدر نفسه ج4، ص208.

59- المصدر نفسه ج4، ص205.

60- "سورة النّور الآية43 .

61- أبي نصر بن إسماعيل بن حماد الجوهري، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة راجعه محمّد محمّد تامر، دار الحديث، القاهرة ،2009، ص 1236.

62-الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، ج26. ط2، دار الفكر لبنان، 1994. ص452.

63- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمّد البشير الابراهيمي، ج4، ص205.

64- "سورة الفرقان الآية 49.

65- أبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري، تفسير الطّبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن تح عبد الله بن محسن التّركي، ط1، دار هجر، القاهرة، ج17 ،2001، ص 467.

66- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمّد البشير الابراهيمي، ج4، ص206.

67- أبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري، تفسير الطّبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن تح عبد الله بن محسن التّركي، ط1، دار هجر، القاهرة، ج17 ،2001، ص 657.

68- يحيى بن شرف النّووي، شرح صحيح مسلّم، ط2، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج3 1994، ص 80.

69- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمّد البشير الابراهيمي، ج4، ص206.

70- "سورة طه الآية 62.

71- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمّد البشير الابراهيمي، ج4، ص207.

72- المصدر نفسه ج4، ص207.

73- المصدر نفسه ج4، ص207.

74- المصدر نفسه ج4، ص207.

75- "سورة الحج الآية 24.

76- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمّد البشير الابراهيمي، ج4، ص207.

77- محمّد ناصر الدّين الألباني، صحيح سنن التّرمذي، مكتبة المعارف للنشر ن والتّوزيع، الرّياض، السّعوديّة، ط2000،1، ص 1779.

78- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمّد البشير الابراهيمي، ج4، ص207.

79- المصدر نفسه، ج4، ص207.

80- المصدر نفسه، ج4، ص208.

81- "سورة العلق الآية 15.

82- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمّد البشير الابراهيمي، ج4، ص208.

83- "سورة العلق الآية 05.

84- محمّد ناصر الدّين الألباني، سلسلة الأحاديث الصّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها مكتبة المعارف للنشر والتّوزيع، الرّياض، السّعوديّة، ط1، ج،19951، ص257-258.

85- "سورة القلم الآية 01.

86- محمّد ناصر الدّين الألباني، سلسلة الأحاديث الصّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها مكتبة المعارف للنشر والتّوزيع، الرّياض، السّعوديّة، ط1، ج1، 1995، ص257-258.

87- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمّد البشير الابراهيمي، ج4، ص208.

88- المصدر نفسه، ج4، ص208.

89- "سورة الرّحمان الآية 24.

90- "سورة الشّورى الآية 32.

91- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمّد البشير الابراهيمي، ج4، ص208.

92- أبي عبد الله محمّد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير بيروت 2002، ص(1496 و4347).